الاتجاه الإسلامي في قصص لطيفة عثماني

ذة: حبيبة ضيف الله *

كشفت لي مطالعات متواضعة في آداب الشعوب القديمة، سومرية وبابلية ومصرية وغيرها، أثناء دراسات وبحوث في التاريخ القديم للمنطقة العربية، أنّ أدب الأطفال ليس ابتكاراً حديثاً، ولا صنعة جديدة، بل يعود في الحقيقة إلى أول الزمان، أعني منذ أن تكاملت قدرة الإنسان على التعبير، أخذت الأمومة والطفولة البشرية تسلك طريقها المقدور، نحو تكوين أسرة وجماعة.

ولعله انحدر في مسيرته مع الأيام على الدّرب الطويل من عمر الإنسان، تحكيه الأمّهات والجدّات، ميراثاً يتلقفه وجدان الصغار، وتهفو إليه آذانهم استمتاعاً وترويحاً وتسلية، واستوعبه ضمير الجماعة ليحقق به كثيراً من مواقفه ويرسب جانباً كبيراً من عواطفه ومعارفه، واحتفظت به ذاكرة الزمن ليسهم بنصيب كبير في نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل.

وخلال التطور الإنساني المبكر والبطيء، كانت القصص، سواء رويت للكبار أو حكيت للصغار، وسيلة لتقاسم الخبرة والتعليم، لوناً رفيعاً من ألوان الإمتاع والمؤانسة.

ولعلّ الفارق الأساس بين ما كان يكتب أو يُلقّن للطفل في الأزمنة الغابرة وما يكتب له أو يشاهده الآن، هو أنه لم يفرد حينئذ الطفل بأدب خاص به ينشُئه له، فنانون يبدعون كتابته، بل بسِّطت له حكايات الكبار من خرافات وأساطير وحكايات الحيوان والجن والغول وقصص التاريخ والحرب والبطولات إلى غيرها من القصص التي ابتكرها الإنسان الكبير في تاريخه الطويل، لا غير. بينما اتخذ أدب الطفل

(*) أستاذة في جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة، الجزائر.

obeikandi.com

اليوم منعرجاً مهماً ومتميّزاً، وحاز من الاهتمام والدرس اللغوي والنفسي والعلمي ما لم تعرفه البشرية أبداً من قبل.

ومع ذلك فإن المبدعين في ميدان الكتابة للطفل عموماً، رجالاً أو نساء، داخل الوطن العربي وخارجه لا يكادون يظهرون قياساً مع العدد الهائل من الكتاب والمبدعين، أصحاب الأقلام السيالة في كتابة القصص والروايات والمسرحيات للكبار.

ويأتي اسم الأديبة «لطيفة عثماني» ليضاف إلى قائمة المبدعين القلائل في مجال الكتابة للطفل المسلم خاصة، لا القصة فحسب، ولكن السيناريو المتلفز والمجلة والخاطرة أيضاً.

من هي الأديبة القاصة لطيفة عثماني:

من مواليد قسنطينة العريقة [1] بالجزائر عام ١٩٦٢م.

مشوارها الأدبي:

نشأت الأديبة لطيفة عثماني في وسط مفرنس بحكم التعليم الذي تلقاه والدها أثناء فترة الاستعمار الذي عمل على إذابة الشخصية العربية الإسلامية من بلد اسمه الجزائر. وكانت سنوات تعليمها جلّها عبارة عن مواد تدرّس باللغة الفرنسية.

وعليه لم تتح لها فرصة الاطلاع على آداب اللغة العربية إلا نادراً. فكانت قراءتها في سنوات الصبا والمراهقة سياحة دائمة على عوالم الأدب الفرنسي، القديم منه والحديث.

قرأت للروائي المشهور Jules Veren الذي كتب مجموعة قصصية كبيرة وشيقة للفتية والفتيات، طبعت ضمن سلسلة «المكتبة الخضراء» – La bibliothèque Verte – الموجهة خصيصاً للأطفال.

---

(١) مدينة من أهم المدن الجزائرية وأشهرها محافظة على تقاليدها وتراثها العربي الإسلامي، قامت بدور فعّال في حركة البعث الإسلامي الحديث بالجزائر، مقر ومسقط رأس الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية.. في البدء كان اسمها «سيرتا» (أي المدينة الكبيرة) ثم صارت مستعمرة رومانية إلى أن خربها البربر عقب ثورات دامية. ولما جاء الإمبراطور البيزنطي قسطنطين، أعاد بناءها وسميت باسمه مع تحريف بسيط لتصبح: قسنطينة. تخرج عدد كبير من العلماء ورواد الحركات الوطنية وقادة الدولة من مدارسها لذلك فهي تحمل عن جدارة اسم «مدينة العلم والعلماء».

openkandil.com

وقرأت كثيراً للكاتبة الفرنسية، الأميرة المختصة في أدب الأطفال، «La Comtesse De Segur» التي ألفت ما يزيد عن ٢٠ قصة ظهرت ضمن سلسلة «المكتبة الوردية» – La Bibliothèque Rose – وكانت موجهة خصيصاً للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و١٢ سنة.

تردّدت على مدارس المدينة في مراحل التعليم المختلفة (الابتدائي والمتوسط والثانوي) ثم التحقت بجامعتها وسجلت في معهد اللغة العربية وآدابها لتتخرج منها عام ١٩٨٥م حاملة (ليسانس) في الأدب العربي.

أمّا أبرز من قرأت له في سنوات الصبا، باللغة العربية فكان الكاتب المسيحي «جورجي زيدان» في سلسلته الشهيرة: قصص تاريخية للفتية والفتيات [١].

تلك مرحلة القراءة، تلتها مرحلة المحاولات المبكّرة في الكتابة حيث لجأت الأديبة إلى اللغة الفرنسية أساساً لتكتب بها قصصها الأولى، التي لم تكن سوى محاولات متعثرة لم تقتنع هي شخصياً بها، فطرحتها جانباً، إلى أن ألهمها الله في نهاية المرحلة الثانوية لتكتب قصة «لغة الضاد» كانت الأولى من نوعها وكانت باللغة العربية وكانت حول اللغة العربية وما اعتراها من غبن في وطنها وبين أبنائها. وفي سنوات الجامعة الأولى، كتبت مسرحية بعنوان «رجل العقيدة» محورها حياة الإمام الكبير عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠م) وتحصلت بها على الجائزة الثانية في المسابقة الأدبية التي أجراها مكتب الطلبة بجامعة قسنطينة.

ويأتي السؤال المُلحّ: كيف لجأت الكاتبة إلى عالم الطفل لتكتب له ومن أجله؟.

تقول الأديبة لطيفة عثماني رداً على هذا السؤال:

(١) معلوم أن جورجي زيدان استلهم موضوعات قصصية من التاريخ العربي الإسلامي، لا لإبراز أمجاده بل لتشويهه متأثراً ببعض المؤرخين الغربيين من حيث إنصاف الشعوب الأعجمية، ووضع هالات مثالية حول الأديرة والرهبنة وتصوير الخلفاء بصور الوصولية الذين يضحون في سبيل الملك بأقرب الناس إليهم.

obeikandl.com

«لقد كان السبب المباشر في ميلي للكتابة للأطفال هو الكاتب: جورجي زيدان، وما سبّبه لي من بلبلة في الفكر أثناء سنوات المراهقة حينما عكفت على قراءة قصصه التاريخية بكل ما حوته من دسائس عن الإسلام والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأبنائهم ونسائهم وأمهات المؤمنين والخلفاء.. أذكر أنني احتججت مرة لدى أحد الأساتذة بالجامعة قائلة: لقد بلبل عقلي بكتاباته وهي خطر على الجيل الإسلامي الذي يقرؤها، فلماذا يسمح لكتب من هذا النوع أن تباع في ديار الإسلام؟

وردّ الأستاذ: لا نستطيع مصادرة هذه الكتب لأسباب.. ولكن إذا أردْتِ تستطيعين الكتابة أنت الأخرى والتصدّي لها...!. وكان أول الردّ أن أنجزت بحثاً ضمن مادة «النثر الحديث» حول رواية «عذراء قريش» التي تناولت عصر الخلفاء الراشدين. وأقام الكاتب منطقه فيها على تجريح الصحابة رضي الله عنهم، واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات، واتهم السيدة عائشة رضي الله عنها بالميل إلى سفك الدماء والنزوع إلى الشر! ووصف الخليفة عثمان رضي الله عنه بأنه رجل إمعة وذليل ومستسلم لابن عمه، وافترى على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفسّر الفتنة تفسيراً مغرضاً واتهم علياً رضي الله عنه بالتهاون في المطالبة بدم عثمان!

وكل هذا في قالب تمويهي من فن القصة الموجهة للفتية والفتيات!!

وتضيف الكاتبة:

«كنت أحسّ أن ذلك لا يكفي ورحت أفكر في طريقة أخدم بها ديني وأبيّنه لأبنائه محجة بيضاء ناصعة حتى يشتدّ اعتزازهم به وحرصهم على الذود عنه واتباع تعاليمه» . وكانت البداية عام ١٩٨٨ بقصة «فارس المدلل»[١]، تلتها في العام الموالي قصة «الأشقياء الثلاثة»[٢]، وشيئاً فشيئاً توالت القصص وتزاحمت الأفكار والشخصيات والمواقف لتظهر قصة «زعبوط المتهور»، و«محسن والخادمة الشريرة»،

(١) نشرت في مجلة «المشكاة» المغربية في العدد ٢٦.

(٢) نشرت في مجلة «الشقائق» السعودية العدد ١١ .

و«ناكرة الجميل»، و«أمين والمزمار العجيب» و«الورقة الصغيرة» ، و«السحابة الرحيمة»، و«سارق الحروف» و«الصدفة الكتوم» و«النخلة الخجول».

وأخيراً – وليس آخراً – توجت الأديبة سلسلة كتاباتها هاته، بسيناريو تلفزيوني يحمل عنوان «باديس أمير الكواكب»، وقد عرضه التلفزيون الجزائري في السنوات القليلة الماضية، ونال رغم ما ظهر فيه من نقائض في الإخراج نجاحاً كبيراً في أوساط الصغار.

وبكثير من الجرأة والإيمان أقبلت الأديبة «لطيفة عثماني» على إعداد مجلة للأطفال أسمتها «مجلة عارف للأطفال» بطل المجلة هو الدُّب الأخضر «عارف» الذي يقدم من كوكب المعرفة ليلقن أطفال الأرض أشياء مفيدة..

ومن أركان المجلة:

* شريط مصور: مغامرات عارف (أنجزت منها ٩ حلقات).
  - عارف الأديب
  - عارف المخترع
  - اضحك مع عارف
  - أفكار عارف
  - حكايات عارف
  - تحقيقات عارف
* شريط مصور: مغامرات المآمئ (أنجزت منه ٥ حلقات).
* شريط مصور: أين الواحة (أنجزت منه ٣ حلقات).
  - افهم وابتسم..

وقد عززت كل أركان المجلة برسوم ملوّنة جميلة زاهية، تجذب الطفل وتنمي فيه حاسة الجمال والمتعة.

غير أن هذا المشروع، أي مجلة عارف، لم يكتب له الظهور حتى الآن، لأسباب تعود إلى عدم إيمان أصحاب دور النشر بنجاعة مثل هذا المشروع..

وبين القصة والسيناريو والمجلة، كتبت الأديبة لطيفة عثماني المقال التربوي الذي صارت مجلة الشقائق (السعودية) تنشره لها تباعاً، من ذلك هذه العناوين:

«هي والمصيبة» و«هي والمظاهر» «هي والوحدة» «هي وهنّ» «أيها القلم مهلاً»!..

كما نشرت لها جريدة «الأصيل» الجزائية الناطقة بالفرنسية مجموعة مقالات ظهرت تباعاً عام ١٩٩٣ وهي:

«كساد سوق الرجال...» «أمي... أنت مجرمة!» (مقال حول اللّقيط الذي ترمي به أمّه في الشارع، فتعرضه لأبشع مصير!)، «الجزائر.. العودة إلى الخلف!» «جنس الخالدين» (مقال حول العلامة ابن باديس). «حلم مجنون....» .

وقد تسنى لي بحكم علاقة الصداقة أن أقرأ كلّ قصص «لطيفة عثماني» ويمكنني الجزم دونما مبالغة بأن لطيفة تكتب بأحاسيس طفل وتعيش دور شخصيات قصصها بصدق كبير حتى كأنها عاشت التجربة في الواقع لا في الخيال.. وهي تحرص كلّ الحرص على مخاطبة الطفل بما يسمح له به إدراكه من الفهم والاستيعاب في مختلف مراحل نموّه.

وقد نجحت في تحقيق مقولة الأديب الألماني «بريخت»: لو أنّ الأطفال ظلوا أطفالاً لكان باستطاعة المرء دائماً أن يحكي لهم خرافات، ولكن الأطفال يكبرون ويصبحون رجالاً!.

وتعاملت مع هذه الحقيقة بذكاء ووعي بغية الأخذ بالطفل في كل مراحله إلى دائرة النور التي سيواجه من خلالها العالم الكبير المتلاطم. فوجهت مجموعة من العناوين إلى الأطفال مادون العاشرة، كما وجهت مجموعة أخرى إلى الأطفال ما فوق العاشرة، كما تعمدت أن تجري أحداث كلّ قصة في بلد أو مدينة من العالم

الإسلامي الرحب (بيت المقدس، تركيا، بخارى، لبنان، الجزائر...) حتى لا تغيب خارطة هذا العالم عن ذهن أطفالنا وإدراكهم في الحاضر والمستقبل.

وقد ارتأيت أن أفصل هذا التوجيه والتقسيم من خلال الجداول الآتية:

العنوان (المكان) (من ٧ إلى ١٠ سنوات)	الملخص	الهدف التربوي
السحابة الرحيمة (السماء)	تسعى السحابة الصغيرة «غمامة» لإنقاذ طفل يبكي في غابة مظلمة بتبديد السحابة الضخمة القاسية «راوية» بمساعدة النجم «الأمير ضياء» والريح «سريع» فتضاء الغابة بنور القمر «بدر» ويتوقف الطفل عن البكاء إذ يستأنس بضوء القمر في انتظار بزوغ نور الشمس.	- تحبيب الأطفال صفة الرحمة وتنفيرهم من القسوة والأنانية
الورقة الصغيرة (الماء)	- تغادر الورقة الصغيرة غصن شجرة الليمون في يوم عاصف لتلقي بها الريح في بركة البستان. بعد هدوء العاصفة هبت الورقة لنجدة ضفدعة جريحة تكاد تغرق وحملتها على ظهرها حتى صباح اليوم التالي. مما جعل أقارب الضفدعة - عند العثور عليها - يفرحون بصنيع الورقة ويكرمونها ويرحبون بها صديقة بينهم، وقدّموا لها عدداً كبيراً من الأوراق الطافية على سطح ماء البركة لتكون لهن صديقة فألفتهم وألفوها، لأنها كانت ورقة لطيفة تتمتع بأخلاق سامية.	- كل مخلوق هذه صفاته يستطيع أن يألف ويؤلف ويعيش في كل مكان ومع أي كان.

زعبوط المتهور (بيت جميل)	يحاول القط الصغير «زعبوط» أن يخرج عن طاعة أمه القطة «سمسمة» ، ويخرج في غيابها إلى الشارع العريض فيتعرض لهجوم الكلب الشرس «هو هو» ولا ينجو إلا بالتفاف عدد كبير من القطط حول الكلب.. الذي يتركه زاهداً فيه ويمضي. استوعب «زعبوط» الدرس وأدرك عاقبة مخالفته لأوامر أمه.	- عاقبة معصية الأهل
- الصدفة الكتوم (أعماق البحر)	تصادف الصدفة «حنان» مجموعة من المصاعب مع الصديقة المتفوقة «فائقة» والخالة «نفيسة» ، والأمير العادل، والخادمة الجسوس، فتثبت ولا تبوح بسرّ أحد وتنال عن جدارة لقب: «الصدفة كتمان» ..	- كتمان الأسرار فضيلة أساسها القوة والشجاعة والنبل
- ناكرة الجميل (سفح جبل)	الفراشة «كوكا» جميلة ولكن متكبرة، تتعرض للخطر في أكثر من مناسبة وتنقذها صديقاتها الفراشات في آخر لحظة، ولكنها تعود إلى كبريائها وانعزالها عن أعمال واهتمامات المجموعة حتى تسقط ضحية هجوم الحرباء «ألوان» وتتعاون صديقاتها على إنقاذها وينجحن في المهمة وتدرك «كوكا» أن الوئام والتواضع خير من الانعزال والتكبر والأنانية.	عاقبة الغرور والكبرياء
عيون الغزالة (الغابة)	تدبر الغزالة «ظبية» مكيدة للغزالة «عيون» فتقع في شباك صياد، لكنه لا يقتلها بل يحملها هدية لابنته «دلولة» تعيش عيون الضيق والحرمان من الحرية لكنها تقابل الإحسان بمثله وتنقذ	الانتصار لقيمة الإحسان والتضحية ومعاقبة الخيانة والغدر

obeikandl.com

«عيون» الغزالة (الغابة)	ابنة الصياد من حادث خطير. فيقابل الصياد وابنته صنيع « عيون» بمنحها حريتها، فتعود إلى الغابة وتفضح «ظبية» التي تعاقب وتطرد من القطيع.	
سارق الحروف (قرية صغيرة)	سُرقت حروف الكتب المدرسية، واضطر التلاميذ ومعلمّهم «عروف» لمطاردة سارقها «جهلون» مستعينين في ذلك بطائرة وسلحفاة وسمكة. فيُقبض على السارق ويُعاقب. لكنه في النهاية يتحول كرهه للعلم إلى حب، ويندمج في المدرسة، ويصبح اسمه «علمون»، ويصبح صديقاً للطائر والسلحفاة وسمكة البحيرة لأنها حيوانات تصاحب كل محب للعلوم.	حثّ النشء على حبّ العلوم والمعارف والإقبال عليها
العنوان – المكان من١٠سنوات فما فوق	الملخص	الهدف التربوي
فارس المدلل (مدينة القدس)	ينشأ «فارس» طفلاً مدللاً لا يرفض له طلب، وذلك لأن أباه الشيخ محسن وزوجته لم يُرزقا به إلا بعد طول انتظار، وشوق كبير لطفل يملأ حياتهما بالحبور والسعادة. ويكبر فارس وتكبر طلباته ويتعب والده الإسكافي الفقير بمطالبه الكثيرة المتزايدة. يزور مدينة القدس رجل ثري يصر على إصلاح حذاء رفيع لولده، فيقصد دكان الشيخ محسن ويوصيه بإصلاح الحذاء الثمين مقابل مكافأة مغرية. يُعجب فارس بالحذاء ويقرر أخذه خلسة من الدكان. ويفعل ذلك ذات ليلة ويعود إلى البيت دونما ضجيج. يكتشف الرجل الثري فقدان الحذاء واختفاءه	الدلال مفسدة للطفل، والخير في الاعتدال، فلا تدليل ولا حرمان، وخير الأمور أوسطها.

obeikandl.com

	من الدكان، فيتهم الشيخ محسن بالسرقة ويهدده بالسجن إذا لم يظهر الحذاء. يدرك فارس فداحة خطئه ويعترف أمام الملأ بجريمته، فيصفح عنه الرجل الثري لشجاعته حين الاعتراف بالحقيقة.. ومنذ تلك اللحظة تتغير طباع فارس الفاسدة ويتخلى عن دلاله المُفرط.	
محسن والخادمة الشريرة (مدينة بخارى)	تستغل عجوز ماكرة وحفيدتها، طيبة عائلة الشيخ عدنان التاجر الغني، وتحيكان وتنفذان خطة دنيئة للسطو على ثروته. تدخل الحفيدة «نورة» بصفة خادمة إلى بيت الشيخ عدنان وتعمل على كسب ثقة الجميع خاصة ابن التاجر الوحيد: محسن. ثم تبدأ في زرع الفتنة في البيت الهادئ لتحوله إلى موطن دائم للشجار والغضب والألم. يتعاون صديقا الولد: مسلم وسعيد - رغم تخليه عنهما وهجره لهما - لإخراجه من دوامة المكائد وغضب الوالدين، وينجحان في كشف حقيقة الخادمة وجدتها.	(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). - (وقضى ربّك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً).
محاكمة رفيق (قرية لبنانية)	يشتهر «رفيق» بلقب «الغليظ» في القرية التي يقطنها وذلك لمعاملته الخشنة لكل ما يحيط به، إنساناً أو حيواناً أو جماداً.. إلى أن يقع ذات يوم بين أحضان كهف ويختفي فيه عن الأنظار. داخل الكهف يتعرض لمحاكمة رهيبة من طرف القاضي «شجرة الصنوبر» والشهود: حيوانات الغابة والمزرعة وملعقة الفتى وشوكته وكأسه، ودمية أخته، وزهور البستان وشجرة البلوط.. إلخ.	تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم. «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه».

obeikandl.com

محاكمة رفيق (قرية لبنانية)	يدرك رفيق فظاعة ما فعل بكل تلك الكائنات البريئة، وينشرح صدره للخير ويخرج من الكهف وكلّه عزم على تغيير سلوكه والرفق بكل شيء.	وتحسيس الأطفال بقيمة الأشياء المحيطة بهم وتلقينهم احترامها والتعامل معها كأنها كائنات حية تحسّ وتتألم.
الأشقياء الثلاثة (مدينة أنقرة)	في حارة «الأمل» بمدينة أنقرة، يشتهر ثلاثة أصدقاء بالشقاوة وسوء معاملة الجيران كبيرهم وصغيرهم. يسكن في الحارة الطفل أحمد مع والدته ويفرض على الجميع احترامهم له وحبّهم بأدبه الجمّ وخلقه الرفيع.. لم يسلم أحمد من مظالم الأشقياء الثلاثة: حمزة، ياسر، وبلال، لكنه دوما كان يقابل تصرفاتهم بالصبر والإحسان، إلى أن يؤثر فيهم وينجح في كسب ودّهم. فيتغير طبعهم العنيف ويصلح حالهم.	(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك..) فضل الصبر على الأذى ومعالجته بالحكمة والموعظة الحسنة.
أمين والمزمار العجيب (الجزائر)	أمين يعيش حلماً غريباً: إنه عيد ميلاده، فيهدي له جدّه مزماراً ويؤكد له أنه مزمار عجيب، وعليه أن يحسن التصرف به. يكتشف الفتى أن المزمار فعلاً عجيب وينبعث منه صوت يخبره بأنه خادمه الأمين المطيع.. يختبره الفتى ويكتشف أن المزمار يلبي كل طلباته في رمشة عين. فيعتمد عليه في تنفيذ كل الأعمال المسندة إليه فيكتسب من جراء	- تحقيق قوله ﷺ : «من بات كالاً من عمل يديه بات مغفوراً له»

obeikandi.com

أمين والمزمار العجيب (الجزائر)	ذلك طباعاً فاسدة منها الكذب، والكسل والسرقة.. غير أن المزمار لا يبقى على حاله، فيصغر حجمه ثم يتلاشى، ويعيش أمين عواقب اتكاله الكلي على المزمار، فيرسب في الامتحان الذي لم يحضر له لاعتماده على أجوبة المزمار فيسخر منه أصدقاؤه الذين تباهى أمامهم من قبل أنه سيتحصل على أحسن النتائج بالرغم أنه يقضي وقته في التجوال ومشاهدة التلفاز!.. عندها يقرر الفتى الاعتماد على نفسه ويجتهد في البيت والمدرسة فيحظى برضا والديه وجده، ويكتشف أخيراً قيمة الاعتماد على النفس وحلاوة النجاح بعد التعب والكدّ..	
ابن القبيلة (الأدغال)	«ابن القبيلة» بطلها عامر، فتى مسالم من العصور البدائية، يُعرف بالشجاعة والوداعة والرحمة، قبل أن يجتاح وحش قبيلته ويفتك بوالديه.. فينقلب الفتى بدوره إلى وحش لا تهمّه إلا فكرة الانتقام، فينعزل عن القبيلة ولا يشاركها أعمالها.. وتتفاقم أحداث القصة بأن يعود الفتى إلى صوابه بعد أن يكاد يفقد جده حاكم القبيلة من جراء قسوته وسوء معاملته له.. فتقيم القبيلة لأجل ذلك حفلاً كبيراً تكريماً لعامر..	حث الطفل على الحفاظ والحرص على أصله الخيّر، ولو تعرض لأبشع المظالم، حتى لا يدخل في دوامة الشرّ والفساد التي تؤدي إلى الخراب والفناء.

obeikan.com

سيناريو: «باديس أمير الكواكب»:

إنه في نظري تجربة رائدة في مجال الخيال العلمي، فمعظم ما نراه من صور متحركة - سواء كانت من نوع الخيال العلمي أو من غيره - هي مسلسلات أمريكية أو يابانية عموماً.. وهي من هنا غريبة الصنع والهوية. قد صممت لأطفال غير أطفالنا، وبعقلية غير عقليتنا، وتشجع عادات وأخلاقاً لا نقر كثيراً منها. ورغم كثرة شركات الإنتاج الفني العربية والتضخم الهائل في حجم إنتاجها، فإننا لا نكاد نجد شركة عربية متخصصة بفن الرسوم المتحركة، تخطط برامج هادفة للأطفال بعقلية عربية إسلامية، تلتزم بقضايا الأمة وتراثها وعقيدتها وتاريخها المجيد الغني بمواقف البطولة والنبل والمآثر الإنسانية، العلمية والحضارية، والمليء بالشخصيات الفذة التي تركت بصمات لا تمحى في تاريخ البشرية.

إن هذه الغيرة على التراث واللّغة هو ما قاد الأديبة المسلمة «لطيفة عثماني» إلى خوض تجربة فريدة من نوعها في حياتها «كما تقول» كتابة سيناريو رسوم متحركة من نوع الخيال العلمي على صعوبته في (٥٠) حلقة!.

وقد راعت فيه منذ البداية أمرين أساسيين في معالجة الوقائع:

١- **الجانب التربوي:** وتمثله شخصية البطل «باديس» وما تنطوي عليه نفسه من أخلاق سامية، وما يقوم به من أعمال جليلة عبر مختلف حلقات المسلسل، بالإضافة إلى مواقف تعيشها بعض الشخصيات الثانوية وتعكس خصلة حميدة معينة كالشجاعة والوفاء والصدق والتضحية ورعاية حقوق الإنسان والرحمة.. إلخ.

٢- **إبراز الشخصية والانتماء لغة وعقيدة**، ويتجلى ذلك في اختيار اسم البطل «باديس» نسبة إلى العالم الجليل ورائد النهضة العلمية في الجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس. وكذا كتابة المسلسل وما يقتضيه موضوعه من مصطلحات علمية وتكنولوجية باللغة العربية مع استلهام بعض الأسماء من القرآن الكريم (كوكب النار سقرا، القائد سعرو..).

محتوى المسلسل:

١- القصة:

يبدو «باديس» لأول وهلة طفلاً عادياً بانشغالات الأطفال في مثل سنه. ما يميّزه بصفة خاصة هو حبه للغير، وكرمه، والأكثر عبقريته، فهو تلميذ نجيب وموهوب بصفة غير عادية.

ذات يوم: يختفي والدا باديس العالمان الكبيران: منى ومراد: بطريقة غريبة، الإنسان الوحيد الذي باستطاعته مساعدته هو جدّه، لكن كيف الوصول إليه؟ فالعلاقة بينه وبين ابنه وزوج ابنه وحفيده مقطوعة منذ سنين.. لكن باديس ينتهي بالعثور عليه، ويذهب الاثنان للبحث عن المفقودين مرافقين في رحلتهما الفضائية بـ «لبنى» اليتيمة الصغيرة وزميلة باديس في القسم.

ويكتشف باديس نفسه - عبر الحلقات - أشياء كثيرة منها:

أ- أنه ابن الكوكبين: أي هو نصف أرضي، لأن والدته في الحقيقة، أميرة قادمة من الفضاء وتحديداً من (كوكب الحيضرة): كوكب الماء الذي سقط في قبضة أعدائه التاريخيين سكان (كوكب النار سقرا)، وقد لجأت والدته إلى كوكب الأرض فراراً من أعدائها. غير أن هؤلاء بعثوا بجواسيسهم للبحث عنها.

ب - أنه يملك قدرات هائلة ترجع أساساً إلى:

١- نجمة النبل: وهي علامة في جبينه ينبعث منها شعاع يحدث ما يشبه الخوارق.

٢- أصله المزدوج: كونه ابن الكوكبين أو (باديسان) بلغة الحيضريين.

وسيواجه باديس، الأمير - على مجموعة الكواكب الستة - أعداءه، وسينتصر عليهم، ويحل الأمان والوفاق على مملكته.

وباختصار يمكن تقسيم المسلسل (٥٠ حلقة) على خمس وقائع كبرى هي:

١- اختفاء والدي باديس.

٢- ذهابه إلى الفضاء للبحث عنهما واكتشافه لمختلف الكواكب التي تشكل مجموعة الستة.

٣- اضطراره للعودة إلى الأرض التي تصبح بدورها مهدّدة من قبل قوات سقرا.

٤- ذهابه من جديد إلى الفضاء واكتشافه لسر الحجر المدمّر.

٥- انتصار «الحيضرة» وحلفائها على «سقرا» والتوحيد النهائي لمجموعة الستة.

الناحية الفنية في قصص «لطيفة عثماني»:

إن القارئ لقصص «لطيفة عثماني» الموجهة منها للصغار دون السابعة، أو الموجهة لمن تجاوزوا تلك السن، يلمس بوضوح سهولة اللغة وسلامة اللفظ وعذوبة العبارات.

وكلما بدأ قراءة قصة، جرته بداياتها، بجاذبية كبيرة إلى نهايتها التي تكون في الغالب سعيدة، وتقفنا على درس تربوي مفيد، أو موقف نستلهم منه العبرة المنشودة.

ونستمتع حقيقة بتنوع أبطالها بين شقي ومخادع، ومغفل ومسكين، ومقهور وجبّار، ومحسن وشرير، وقانع وساخط، وما إلى ذلك. إنها فسيفساء الحياة تقدمها لنا الكاتبة، مفعمة بالألوان والتناقضات، غنية بالمواقف والأحداث، إنها «بالونات» سيرك أخاذ، تأخذ بلباب الطفل وتطير به إلى عالم فريد من الجمال والسحر.

وتعرض الكاتبة، بصبر كبير، حوار الشخصيات أياً كانت، دونما إهمال لتعابير الوجوه بحركاتها وسكناتها، حتى ليمكنك تصورها حية متحركة متفاعلة أمام عينيك.

وتنتصر في ثنايا كل قصة ونهايتها، لقيمة من القيم الإنسانية والإسلامية العالية كما بينت في الجدول فيندحر الشر وتحيا الفضيلة.

وباختصار، لا ينقص هذه القصص كي تكتمل جاذبيتها وفائدتها، سوى الرسام المبدع الذي يتفهمها ويحولها إلى رسوم معبرة تحمل ملامح الشخصيات بلباسها وحركاتها، وتعبر عن البيئة بخطوطها وألوانها كي تعطي الطفل انطباعاً صادقاً عن ملامح شخصيات القصة، وتُنمي فيه الذوق الجمالي الرفيع، وتقرب المعاني إلى ذهنه، وتربطه أكثر بالواقع، وتفتح بصيرته على عوالم يجهلها أو يتصورها بطريقة مشوشة.

الاتجاه الإسلامي في قصص «لطيفة عثماني»:

لقد حرصت الكاتبة «لطيفة عثماني» ، وهي المسلمة الملتزمة بدينها الداعية إلى فضائله، على تحقيق هدفين مهمين في كل قصصها القائمة بذاتها، أو المبثوثة في «مجلة عارف» أو في سيناريو «باديس أمير الكواكب» وهما:

أولاً: إمتاع الطفل بموضوعات جذابة، مبتكرة، مكتوبة بلغة سهلة، تعجّ في ثناياها وفي نهاياتها بالإيحاءات الإسلامية، والاقتباسات القرآنية والنبوية مباشرة أو غير مباشرة.

ثانياً: العمل على ترسيخ قيم الإسلام وفضائله في نفس غضّة، هي الفطرة ذاتها التي أشار إليها حديث الرسول ﷺ، حين قال:

«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وهي فطرة الله ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[1].

إننا نلمح ونتحسس «الإسلامية» في كل ناحية من قصص الكاتبة «لطيفة عثماني»: في الفكرة والأحداث، (تتسارع الأحداث ثم تتعقد ثم تحل بعون الله)، في اللغة والتعابير (السرقة حرام.. سمع الإمام يردد ذلك أكثر من مرة حين حضوره صلاة الجمعة رفقة والده. «فارس المدلل»)، (قال السنجاب: .. ناسياً أن نبي البشر عليه السلام أوصى بنا خيراً نحن الحيوانات لما قال: **دخلت امرأة النار في هرة سجنتها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض..** «محاكمة رفيق»)، بل وحتى في أسماء الشخصيات (أمين، رفيق، حمزة، ياسر، بلال، باديس..)، وأماكن أحداثها، القدس، أنقرة، بخارى، لبنان، الجزائر، كوكب النار سقرا، كوكب الماء الحيضرة الذي يعيش سكانه فوق أرض شفافة تظهر تحتها حياة

(١) الروم: ٣٠ .

مائية عجيبة مما يذكرنا بقصة ملكة سبأ حين دخلت الصرح، ﴿ .. **فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ...** ﴾[1].

وأخيرًا نلمح الإسلامية في الأهداف التربوية التي وقفنا عليها مع كل قصة، من ذلك:

- الحرص على تكوين الشخصية المتوازنة التي تبعد عن الغلو والانفعالات العاطفية غير المجدية (الأشقياء الثلاثة).

- الحرص على غرس شعور المحبة للآخرين والتواضع والتعاون معهم والخضوع للحق في كل الأحوال. (ناكرة الجميل).

- تربية الجانب العملي، مع الحرص على النظام والترتيب والاتكال على النفس (أمين والمزمار العجيب).

- تفتيق ذهن الطفل ومواهبه لاكتشاف ما حوله وتنمية إحساسه للبحث والتجربة وذلك من خلال أركان (مجلة عارف).

- توجيه بصر الطفل وخياله إلى عوالم أخرى خلقها الله في كونه الفسيح وحثّه على استيعاب ذلك والتعامل معه بالفهم والعلم والإيمان.

وبعد.. لا أملك بعد هذا العرض إلا أن أطالب بالمزيد من العناية بالحرف الشريف الذي يكتب من أجل أكبادنا.. صناع المستقبل. فلئن كان الاهتمام بالطفل من أهم العلامات الحضارية في حياة الأمم المتقدمة، والأمم التي تصبو إلى التقدم، فقد وجب أن تشهد أمتنا اهتماماً متزايداً ونهضة كبيرة في كل ما يقدم للطفل عامة.

وما دمنا نطمح للخروج من واقع الانحطاط والتخلف إلى دنيا الحضارة والتقدم، فمن الضروري جداً أن تكثف الجهود وتوجه بإلحاح وتصميم لإيجاد إعلام مكتوب ومشاهد، قوي، متطور وناجح لأطفالنا. إعلام مدروس يقوم على أنجح الأسس والأصول والتجارب النفسية والتربوية والفنية، ويعمل على بنائهم البناء السوي القويم الذي يؤهلهم لمتابعة مسيرة النهوض والبناء في بلداننا وتحقيق الآمال العريضة التي عاش الآباء والأجداد من أجلها.

---

(١) النمل: ٤٤.

وأخيراً أوصي المهتمين بهذا الجانب من الكتابات الإسلامية، من رجال الرابطة بمد يد العون لهذه الكاتبة الموهوبة والمثابرة، علّها تحقّق طموحاتها الكبيرة والواعدة في هذا الميدان.. والله نسأل التوفيق للجميع، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

obeikandl.com